العالم 2020: بداية التحولات الكبرى أم استمرار الاحتجاجات

د. خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للجيوبوليتيك - باريس

تنطوي سنة 2019 مع ما حملته من غضب واحتجاجات عابرة للقارات ونرقب سنة 2020 بداية العقد الثالث من الألفية الثالثة، مع ما تعنيه نقلة الزمن من تحوّلات وانفتاح آفاق في مواكبة حركة الشعوب وصيرورتها، وربط ذلك بالحد من انعكاسات تصدع العولمة وآثار التغير المناخي وغياب المحكومية والقيادة العالمية.

يمكن لسنة 2020 أن تكون المنعطف لبدء التحولات الكبرى في إعادة تشكيل النظام الدولي بين أقطابه الرئيسيين وقواه الصاعدة، وأن تكون سنة تكريس عصر النهوض الوطني وتصحيح المسارات في المشرق العربي. ويمكن أن تكون مجرد استمرار للاضطراب الإستراتيجي عالميا وإقليميا. إنه العد العكسي في سباق ثالوث الكبار والتجمعات والدول المؤثرة وكبرى مجموعات الضغط والنفوذ نحو الهيمنة تنافساً أو تقاسما، لكنه أيضا صراع البقاء بالنسبة إلى الكثير من اللاعبين والشعوب في زمن اللايقين وما بعد الشمولية المتعثرة. لا بد من خلال جولات الانتخابات ومصير الصراعات من أن نرى الصورة أفضل على الأقل خلال العام 2020.

سنة 2019 كانت سنة الاحتجاجات بامتياز وكانت الاستمرار والتكريس لحركات من نتاج "الثورة الرقمية" وتراكم تجارب منذ أكثر من عشر سنوات. في سنة 2019 من هونغ كونغ وسانتياغو إلى باريس والخرطوم ومن الجزائر إلى بغداد وبيروت، لم تلعب الأيديولوجيا وكتبها ومنظّروها دورا في تحريك الشوارع والساحات، لم تكن هناك قيادة أو حزب ملهم، بل كانت المعاناة القاسم المشترك والشرارة التي أطلقت العنان عبر وسائل التواصل الاجتماعي التي غدت بمثابة القائد الخفي أو الشبح الذي يؤرق السلطات هنا وهناك.

في سنة 2019، تغير العالم بالفعل وسيستمر التغير سلبا أو إيجابا إذ لا يمكن حبس الأفكار في زمن العالم الافتراضي وثورة الاتصالات. لكن هذه الانتفاضات تحمل في طياتها رفضا لإقامة جدران جديدة داخل الدول أو بين الدول والقارات بعد ثلاثين سنة على سقوط جدار برلين والستار الحديدي.

العام 2020 سيكون على الأرجح من الأعوام المفصلية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إن بالنسبة إلى مسارات التغيير الداخلية أو لمخاض «اللعبة الكبرى الجديدة» مع الصراعات والتجاذبات حول الملف النووي الإيراني، ومستقبل الوضع داخل إسرائيل والسلطة الفلسطينية

من الواضح أنه في زمن الجدار الرقمي المفتوح لم تتقبل شعوب كثيرة تهميشها ودوس حقوقها أو زيادة معاناتها وتدمير دولها لصالح نهم رأسمالي أو مطامع مشاريع خارجية أو إمبراطورية، ويحق التساؤل عن حصاد هذه الاعتراضات والاحتجاجات والانتفاضات وعن مشروعيتها وقابلية تحولها وتقديمها لبدائل مسؤولة ونماذج حكم رشيد، وبالطبع تتباين الأجوبة حسب الحالات والظروف الموضوعية وموازين القوى. وإذ أتاحت بعض الحركات البدء بالتغيير ومساراته الشائكة، يمكن القول إن هذه الاحتجاجات التي اعترضت بعضها دولاً كبرى أو واجهت الهيمنة الخارجية، أو تصدت لسلطويين قساة أو فاسدين متجذرين، زرعت في الأرض بذوراً لا بد أن تثمر يوما في اقتلاع الفساد وضرب مشاريع الاستحواذ والسلب الداخلي والخارجي وبناء عالم أفضل.

كانت سنة 2019 حافلة بعناوينها وأحداثها وحروبها ومآسيها. ومما لا شك فيه أن "الحرب الاقتصادية" وفق أساليب "القوة الناعمة" وسلاح العقوبات الذي شحذه الرئيس دونالد ترامب مرارا، كانت السمة الرئيسية، من "هواوي" ومسلسل التجاذب مع الصين، إلى أقصى الضغط على إيران، وسلسلة العقوبات بحق روسيا وتركيا وغيرهما من خصوم ومنافسين حتى داخل معسكر الأصدقاء.

وهذا النهج الهجومي لم يضع جانباً "القوة الخشنة" مع عودة سباق التسلح وعسكرة الفضاء وخصوصاً بين الثلاثة الكبار: الولايات المتحدة والصين وروسيا إلى حد أن عدم تجديد المعاهدات بخصوص الأسلحة والصواريخ الإستراتيجية يهدد التوازنات والاستقرار.

بيد أن هذا الاحتدام الاقتصادي التنافسي والإستراتيجي لا يحجب تغيرات عميقة إذ لسنا فقط في مرحلة ما بعد نهاية الهيمنة الغربية كما أقر الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، بل نحن كذلك أمام تحديات لا مثيل لها ولعبتها الدولية من أجل تسجيل النقاط أو السعي لترتيب تقاسم الحصص والشراكات.

بالطبع، ينتظر البعض على مضض في أقصى آسيا تنفيذ كيم جونغ أون الرئيس الكوري الشمالي لوعيده بإرسال هدية الأعياد لترامب على شاكلة تجارب واختبارات مقلقة، لكن سيد البيت الأبيض الذي فشل في احتواء سيد بيونغ يانغ، منشغل بمحاولة عزله وانتخاباته في عرض مستمر على الهواء وشبكة التويتر.

على المقلب الآخر، يبدو أن الاتحاد الأوروبي الذي سيتحرر في العام 2020 من هاجس "البريكست" غير قادر على الإقلاع لأن المحرك الألماني – الفرنسي معطل عمليا والانطواء الوطني يزداد في زمن بروز الأوتوقراطيين وتراجع الديمقراطيات، أما عوالم الإسلام فلن تفلح محاولة لقاء كوالالمبور في دفع بعض دولها الكبرى للعب دور على المسرح العالمي لأن تكريس الانقسامات والنغمة الأيديولوجية والعودة لمشاريع الإمبراطوريات السالفة، ليست الوصفات المطلوبة للاستنهاض والإصلاح ومواجهة الذات والعمل لترتيب البنى والمؤسسات القائمة.

سيكون العام 2020 على الأرجح من الأعوام المفصلية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إن بالنسبة إلى مسارات التغيير الداخلية أو لمخاض "اللعبة الكبرى الجديدة" مع الصراعات والتجاذبات حول الملف النووي الإيراني، ومستقبل الوضع داخل إسرائيل والسلطة الفلسطينية، كما الصراعات في سوريا وشرق المتوسط وليبيا واليمن، وتطورات المشهد السياسي في كلّ من الجزائر وتونس والسودان والعراق ولبنان.

ما بين الحروب بالوكالة والفوضى التدميرية وصراعات النفوذ والطاقة، يبقى الشرق الأوسط والخليج من المسارح الأساسية في رسم صورة ما بعد العالم الأميركي. وبالرغم من كل السعي لتشكيل مثلث غير عربي بعد حرب العراق (2003) وآثار المتغيرات الإقليمية والدولية، يبقى العالم العربي من الأرقام الصعبة التي لا يمكن حذفها من المعادلات، وأخذت تتكون ولو ببطء عناصر الاستنهاض العربي.

مجمل القول، إن العالم الذي يشهد الطفرة الديموغرافية والتغير المناخي والأزمات النووية المقبلة، ويفتقد لمنظومة قيادة وتحكم، وتزداد عدم إنسانية شموليته المتصدعة، ليس بأفضل من أيّ وقت مضى، ويمكن لأشكال الحروب الباردة الجديدة أو صراعات "البروكسي" من أن تصبح أكثر شمولاً وتهديداً. إلا أن أمثال الناشطة غريتا تونبرج في مجال البيئة وصرخات الشابات والشباب العابرة للقارات من أجل الحرية والعدالة، تجعلنا نتمسك بالأمل ومنع الدوران في الحلقة المفرغة من عام إلى آخر.

الراديكاليون الجدد في مواجهة ترامب

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

من الأميز تعبيرا والأكثر اختزالا لجوهر الموقف السياسي في واشنطن خلال هذه الأيام، وضمن ما قرأت من عشرات التغريدات والتعليقات على وسائل التواصل الاجتماعي إثر فوز الديمقراطيين بجمع العدد اللازم من الأصوات في الكونغرس الأميركي للمصادقة على مشروع إدانة الرئيس دونالد ترامب وتجريمه بجنح عديدة تمسّ موقع الرئاسة الأميركية وتدعو إلى محاكمته من قبل مجلس الشيوخ، هو ما كتبه الشاب السوري الأميركي، حازم الغبرا، وهو مسؤول سابق في وزارة الخارجية الأميركية وعضو في الحزب الجمهوري الأميركي، مباشرة بعد ظهور نتائج التصويت حين خاطب المتحدثة باسم الكونغرس وزعيمة الأغلبية الديمقراطية التي دفعت بقوة للوصول إلى النتيجة التي تريدها من هذا التصويت، كتب قائلا "شكري الخالص وتقديري لنانسي بيلوسي على إعادة توحيد الحزب الجمهوري".

في اليوم التالي كتب الرئيس ترامب تغريدة موازية قال فيها "لم يستطع الديمقراطيون في مجلس النواب الحصول على صوت واحد من الجمهوريين على خدعة العزل. لم يكن الجمهوريون يوما موحدين كما هم اليوم".

وبالفعل فقد تمكّن الموقف الديمقراطي المتشنج، وصاحب الأغلبية في الكونغرس، من توحيد صوت الأقلية الجمهورية من خلال تصويتهم بـ"لا" على قرار محاكمة الرئيس، الذي يطلق عليه إعلاميا بمصطلح "عزل الرئيس"، وهي قضية شائكة لا يرغب الأميركيون في أي حال الوصول إليها لأنها تمسّ الموقع الأكثر هيبة بالنسبة للمواطن الأميركي ألا وهو البيت الأبيض.

حقيقة الأمر أن ما حدث في الكونغرس كان محاكمة سياسية بامتياز، وقرارا أحاديا من الجناح الراديكالي اليساري صاحب الأغلبية العددية في مجلس النواب الأميركي. وما حدث أيضا أن الحزب الديمقراطي خسر ثلاثة من أصوات أعضائه لصالح الجمهوريين وقد صوتوا ضد العزل الذي ينفرد به حزبهم، بينما قرر النائب عن ولاية نيوجرسي، جيف فان درو، أنّه سينضم إلى الحزب الجمهوري في اليوم التالي لتصويته ضدّ مشروع عزل الرئيس.

يتّهم ديمقراطيو مجلس النواب الرئيس ترامب باستغلال سلطاته لمطالبة أوكرانيا بالتحقيق مع جو بايدن النائب السابق للرئيس باراك أوباما، والأوفر حظا لنيل ترشيح الديمقراطيين في انتخابات الرئاسة عام 2020. كما يواجه الرئيس اتهاما آخر يسوقه الديمقراطيون بعرقلة تحقيق الكونغرس في قضية الاتصال الهاتفي الذي أجراه مع نظيره الأوكراني. وعلقت بيلوسي إثر إعلانها قائمة اتهامات الرئيس قائلة، "الحقائق لا جدال فيها. لقد أساء الرئيس استغلال سلطته لمصلحته السياسية على حساب أمننا القومي من خلال حجب المساعدات العسكرية عن أوكرانيا في اجتماع حاسم للمكتب البيضاوي في مقابل التحقيق مع منافسه السياسي جو بايدن".

ينقسم الشارع الأميركي حيال الحدث السياسي في الكونغرس بالتوازي مع الانقسام الحزبي تحت قبة المجلس. فالجمهوريون من أبناء الولايات الحمر التي تصوت بأغلبيتها للجمهوريين يرون أن تصويت الكونغرس هو أشبه بانقلاب على الرئيس المنتخب، بل هو هدف انتهجه الديمقراطيون على امتداد ثلاث سنوات ونصف السنة من حكم الرئيس ترامب، انتقاما لهيلاري كلينتون ولخسارتها الانتخابات الرئاسية في العام 2016 حين فاز منافسها دونالد ترامب بشكل فاجأ الجميع، بمن فيهم أعضاء فريق ترامب القائم على حملته الانتخابية.

تلك الفئة من الناخبين الذين ينتمون إلى جناح اليمين ويمين الوسط الأميركي

ما يجمع الحس الشعبي العام في أميركا، من اليمين إلى اليسار مرورا بالوسط، هو الإرادة القوية بعدم التفريط بموقع البيت الأبيض وسمعته من خلال تعريض رئيسه للخلع، وهذا غير مقبول بالنسبة للناخب الأميركي

قد سئموا الجزالة الخطابية، والوعود الرنانة الفارغة من أدوات تنفيذها، كما كانت تصلهم خطب الرئيس الأسبق باراك أوباما ومواقف دائرته الضيقة من النخب السياسية التي ابتعدت تماما عن نبض الشارع الأميركي، الشارع المتعطش لتغيير تلك اللغة الفوقية التي غدت ممجوجة ومملة بالنسبة له، والذي سرعان ما وجد في شخصية الرئيس ترامب و"شعبويته" خير ملاذ له من أضاليل فصاحة الديمقراطيين.

طبعا هذا لا يلغي أن الديمقراطيين هم الأغلبية المسيطرة على مجلس النواب (الكونغرس) الذي هو الممثل والناقل لصوت الشعب الأميركي إلى مواقع القرار السياسي. إلا أن ما يجمع الحس الشعبي العام في أميركا، من اليمين إلى اليسار ومرورا بالوسط أيضا، هو الإرادة القوية بعدم التفريط في موقع البيت الأبيض وسمعته من خلال تعريض رئيسه للخلع، والذي يعني خلعا موازيا لملايين الأصوات التي حصل عليها لدى انتخابه من مواطنيه وأنصاره، وهذا غير مقبول البتة بالنسبة للناخب الأميركي.

فالرئيس ترامب هو ثالث رئيس أميركي بعد ريتشارد نيسكون وبيل كلينتون، يواجه المساءلة بما ينص عليه الدستور الأميركي على المسؤولين التنفيذيين الذين يرتكبون "جرائم وجنحا كبيرة"؛ إلا أن نيكسون قدم استقالته قبل وصول طلب محاكمته إلى مجلس الشيوخ، بينما لم يعزل كلينتون بعد المحاكمة رغم ثبوت بعض التهم الموجهة إليه.

فصل المقال أن الإجماع الذي حدث في الموقف الجمهوري لدعم تجنيب الرئيس المساءلة القانونية، هو حالة استثنائية في أداء الحزب لكنها مثالية في مكانها وتوقيتها، وقد استطاعت أن تُحكِم التفاف الجمهوريين حول ترامب لحماية موقعه الرئاسي، بمن فيهم أشدّ المنتقدين لسياساته.

ذاك الإجماع الجمهوري قد ينعكس على الناخب الذي سيصوّت في العام 2020 لرئيس جديد مرتقب، وسيغيّر بالنتيجة المزاج الشعبي وكذلك قرار المواطن الأميركي الذي يعيش في حالة بحبوحة مالية غير مسبوقة، بتوفر فرص العمل للجميع، وانخفاض معدل البطالة كما لم يحدث منذ ما يقارب 50 عاما في أميركا، وذلك منذ وصول الجمهوريين والرئيس ترامب إلى المكتب البيضاوي في العام 2016.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk